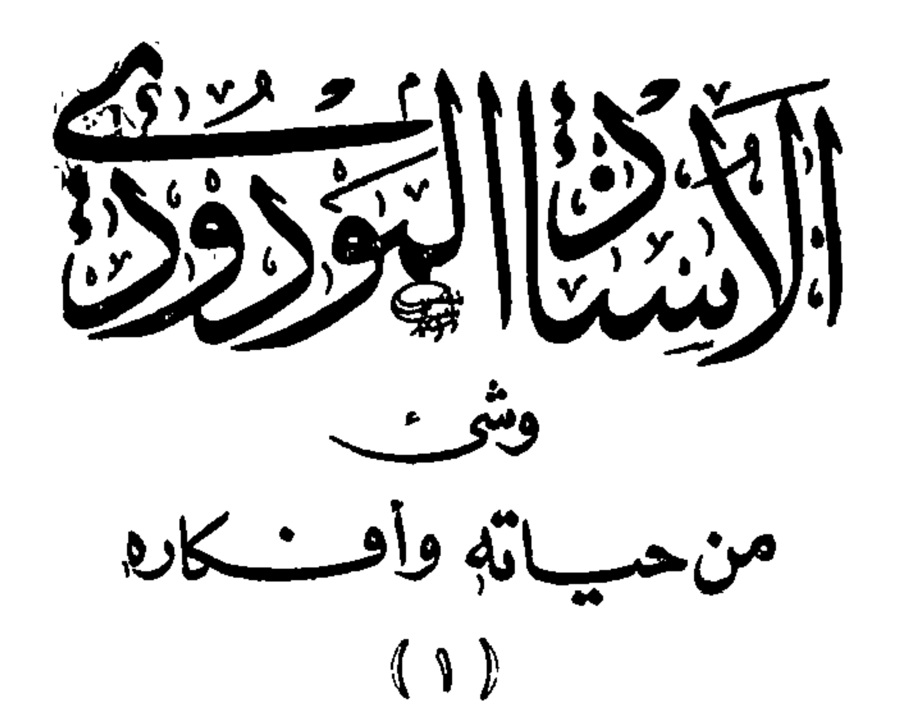


الأستاذ البنوري

وشئ من حياته وأفكاره

(١)

بقلم

المحدث الكبير علامة العصر فضيلة الشيخ

محمد يوسف البنوري

حفظه الله

مدير المدرسة العربية الإسلامية وشيخ الحديث بها
ورئيس وفاق المدارس العربية بباكستان
وأمير مجلس تحفظ ختم النبوة

قام بطبعه

مجلس الدعوة والتحقيق الإسلامي

كراتشي رقم ٥ باكستان

تقـــدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

بدأت حركات سياسية ودينية فى نصف هذا القرن الغابر فى آخر عهد الدولـة البريطانية ما أصبح وسيلةً لطىّ بساطها عن الهنـــد المتحدة الغير المنقسمة ، واشرأبت أنظار وتوجهت أفكار إلى إنشاء حكومة إسلامية فى البلاد، وإزالة ما أحدثته تلك الحكومة الغاشمة ، وإبادة آثارها المشئومة ، وأن يحدث بدلاً عنها نظام إسلامى للمسلمين يتخذ وسيلةً إلى رقىّ المجتمع البشرى وإلى نهضة المسلمين إلى نظـــام صالح ديناً وسياسةً شعباً وحكومةً .

ففى مثل هذه الظروف بدأ على بسيط الهند حركة الأستاذ أبى الأعلى المودودى وتشكيل جماعته الإسلامية بإدعائه بـــذل الجهود لإنشاء حكومة صالحة ونظام صالح باسم " تجديد الدين وإحيائه " بأسماء حسنة جلبت الأنظار والأفكار ، وسرعان أن لبى الشعب دعوته حيث زعموا فيها شفاء تلك الغلة وملأً لذلك الفراغ الملموس ، وأخذوا يثنون على ندائه ودعوته ، فأخذ يتقدم إلى الأمام فى تقدير وثناء من بعض الأكابر وتأييد من بعض وشركة طائفة معه ، فترعرعت الحركة وتقوت وتقدمت وتضلعت .

ولكن بالأسف ظهرمن قلمه ما نبـــه أرباب الفراســـة الإيمانية ، وأحسوا بنور قلوبهم الثاقب خطرات فى أفكاره من زيغ وانحراف وطعن على السلف من أقـدم العصور إلى اليوم

كما يتفوه به ملاحدة العصر فى كل عهد بأن الإسلام فشل فى إرقاء المجتمع بسوء عمل القائمين به، ولم تكن تلك الأيام المباركة إلا سنوات قليلة معدودة، وكان حظها ضئيلاً؛ فيا سبحان الله! دين أعلن الله سبحانه وتعالى أن يظهره على الأديان كلها، وأنه يحفظه إلى قيام الساعة، ونادى سيدنا الرسول عليه صلوات الله وسلامه بأنه لا تزال طائفة إلى قيام الساعة قائمة بالحق، وإن أمته خير أمة، وإنه لا تجتمع على ضلالة، ومثل الأمة كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره، وإنه يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وما إلى ذلك مما دل عليه من آيات بينات؛ وأقوال من سيد البشر ﷺ ساطعات لامعات تدل على بقاء الخير فى الأمة فى كل جيل، فمن يرفع صوته بضد هذا يكذب الله ورسوله؛ فهل مثل المودودى هو الذى يبعثه من جديد ويقوم بما لم تقم به الأمة سلفاً وخلفاً؛ فيا للعجب!

فتنبه لمثل هذه الدعاوى العريضه أفذاذ من الأكابر وأزعجهم من بعد ما أحسنوا الظن، وقاموا للذب عن الدين والقضاء على هذه الفكرة الخاطئة التى تدع الديار بلاقع؛ فمن هؤلاء الأكابر حضرة المحدث بركة العصر مولانا الشيخ محمد زكريا الكاندلوى الصديقى صاحب المؤلفات البارعة فى الحديث، الذى انقضت حياته فى العكوف على خدمة العلم تدريساً وتأليفاً، فكتب خطاباً إلى بعض العلماء الذى غره سمته، وطبع هذا الخطاب ورجانى كتابة تقدمة على الخطاب؛ فلبيت تلك الدعوة المباركة وكتبت ما يأتى عليك بيانه، والله ولى الهداية والتوفيق.

محمد يوسف البنورى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين .

أما بعد ؛ فلاريب أن سنة الله الأزلية قد جرت فى هذه الكائنات أن كل كمال فى الدنيا ، أو براعة فى الفن ، أو حذاقة فى صنعة من الصنائع الدنيوية من حدادة ونجارة ، أو صياغة أو دباغة ، أو حياكة ونسج أو خياطة ، وما إلى ذلك من حرف الدنيا وصنائع البشر لايتمّ النبوغ فيها إلا بالاستفادة من أربابها والتعلم من مهرة الفن ، فما ظنك بفنون من الطب والجراحة ، والهندسة والحساب ، والمنطق والفلسفة وعلوم الطبيعة ، مع أنها من مخترعات العقول الإنسانية والتجارب البشرية ؛ فإذا كانت والحال هذه فى الفنون التى اخترعها الإدراكات البشرية فماذا يكون حال تلك الحقائق الإلهية من علوم النبوة ومعارف الرسالة وأحكام الشريعة وعلوم القرآن والسنة التى معينها لا ينضب ، وينابيعها ثرة فياضة ، اتصلت سلسلتها بوحى السماء وبعالم الغيب ، نزل بها جبرئيل الأمين على صدر النبى الأمى الذى أصبح أعلم الأولين والآخرين ، عليه صلوات الله وسلامه .

فكان الله عزوجل معلماً بالوحى الربانى الذى يقصر عنه شأو العقول والإدراكات ، وكان الأنبياء والمرسلون تلقوه متعلمين مستفيدين ، ثم فى الاستفادة والتعلم منهم يحتاج إلى القرب منهم والصحبــة معهم ، واستنارة القلوب بأنوار أنفاسهم القدسية وتوجهات أرواحهم الزكية ؛ فالقرب والصحبة وتوجيه أرباب النبوة إلى قلوبهم وتعليمهم علمياً وعملياً حالاً وذوقاً كل ذلك مؤثر فى تكوين طبائعهم وإصلاح بواطنهم وظواهرهم وتزكية نفوسهم حتى يكونوا من الراسخين فى العلوم ، والمهتدين بأنوارهم الثاقبة .

فهؤلاء التلاميذ والطلبة المتعلمون يكونون من أصحاب الأنبياء ، وأصبح لقب الصاحب أوفى تعبير لكل فضل وكمال علماً وديناً ، وخلقاً وسيرةً وسريرةً فوق كل ثناء ومجد ، ويكون تأثير توجه النفس أشدّ وأقوى ، وأسدّ من تعبير الألفاظ وتصوير الكلمات ، فيكون أصحاب النبيين خير خلفاء للنبيين وارثين لعلومهم ومعارفهم وأنوارهم وآثارهم ، ومهما طالت صحبته وقويت نفسه يكون أشبههم بالأنبياء هدياً وهدىً ، دلاً وسمتاً ، سيرةً وسريرةً .

وبالجملة : الاستغناء من التلقى والاستفادة لا يستقيم ، والتعلم بالصحبة والقرب منهم هو الصراط المستقيم ، ثم إن علوم النبوة ووراثتها خلافة للنبوة فى هداية النفوس وإرشاد العباد ، فتشتد عداوة إبليس اللعين القرين لكل إنسان ، وما من شك أنه

يلبس على المرأ طريق الهداية بالضلالة ما هو معروف من عداوته وتزيينه للمرأ كل ضلالة وشر، والوسوسة بتدابير دقيقة؛ فيصير الشر خيراً والخير شراً، والنفس المقارنة للمرأ أمارة بالسوء أساس كل رذيلة من أدواء القلوب من حب الجاه وانتشار الصيت والشهرة، والإعجاب بالرأى والهوى المتبع، كما وردت الإشارة إلى أدواء النفس فى حديث نبوى كريم: « إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوىً متبعاً، ودنياً مؤثرةً، وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك يعنى بنفسك ودع عنك العوام إلخ » رواه أبو داود من حديث أبى ثعلبة الخشنى.

فهذه الأدواءالباطنة من معضلات أمراض النفوس تفتقر إزالتها إلى مجاهدات طويلة ورياضات شاقة، وإلى صحبة أرباب القلوب الزكية الطاهرة صحبةً طويلةً بإخلاص وعزيمة صادقة، وفوق كل ذلك مشيئة الله الأزلية إذا انعقدت بإصلاح تلك النفوس تتهذب وتتزكى، وإلا تاهت تلك النفوس فى مهاوى الضلال، وضلت فى صحراء الحيرة والحرمان، ومن طالع تاريخ البشر وبحث عن أذكياء العالم وجد أن كثيراً من فتن علمية بدت من جهة الفضلاء والعلماء خاضوا فى تحقيقهم وتدقيقهم وتركوا جادة جماهير الأمة؛ فشذوا فى أفكارهم وآرائهم وتجاوزوا الصواب، والإعجاب بالرأى أكبر فتنة للعالم فى هذا العالم.

فإذا كانت الحالة هذه فى العلماء المحققين أصحاب استبحار فى العلوم، وأرباب ذكاء وتوقد من العقول؛ فكيف بالذين

حرموا من التلقى من أهل الكمال ولم يجدوا من يربيهم ويرشحهم ، ولم يصادفوا من ينبههم ظناً منهم أنهم فى استغناء بمطالعة الأسفار والزبر ، وخصوصاً إذا كان معهم شئ من الذكاء ومقدرة فى البيان ؛ فهؤلاء خابوا وخسروا ودخلوا فى غمرات ، وابتلوا بهفوات وكبوات ، وأصبحوا وسيلةً لإضلال العامة وأتباعهم ، حيث يكون لهم براعة فى الإنشاء ، وإن أقلامهم ترقص فى الميادين فى هزة وهباب ، ويكون لهم مقدرة فائقة فى تحليل الأبحاث وتنقيح الأفكار ، فالعلم وإن كان قاصراً بيد أن القلم يدهش الأفكار ؛ فالعامة إذا شاهدوا لهم بعض النفائس فى الأبحاث والأفكار ، وقرءوا لهم ما يعجب الأنظار ، أو القدرة على تحليل المشاكل بالتعبيرات أعجبوا بهم وصاروا مغرمين بآرائهم ، ثم إذا صادفوا أقوالهم منافيةً للجماهير طعنوا الجماهير ووجهوا إليهم سهام المطاعن والملاعن ، ورموهم بالغباوة والعمى .

ثم لاسيما إذا قاموا أولئك المتظاهرون بالتحقيق والبراعة فى كل شئ بالطعن على الأوائل والأواخر ورميهم بقصور الإدراك والفهم ، وبتقصير عقولهم عن هذه الحقائق تحزب أتباع هؤلاء لنصرهم والثناء عليهم وجلب كل خيل ورجل لتأييدهم ؛ فيطمُ البلاء ويشتدُ الفتنة ويبلغ السيل الزبى ؛ فيهلك التابع والمتبوع ، ثم إذا انضم مع هذا كله إن كان ذلك الرجل داهيةً يرى ما وراء الأكمة ، وأولع بحب الزعامة والرئاسة ، واتخذ كتاباته وأبحاثه وسيلةً للدعاية والنفوذ فى كل شئ ازداد الأمر غمةً ، وإذن يصدق قول الله عز وجل : « لا عاصم اليوم

من أمر الله إلا من رحم ، فيا رب سترك، وهذه ومضات موجزة تنبئ الناظرين عن سحب هطالة .

ومن هذا الصنف الأخير شخصية بارزة أكبر شخصية وهو الأستاذ أبوالأعلى المودودى ، برز فى هذا العصر صاحب تأليفات ومقالات شرقت وغربت ، وسارت بها الركبان إلى كل ناحية من أنحاء الأرض ، وتغلغلت فى بلاد العرب وغرت بـه بلاد وعباد حيث تظاهر بمظاهر من الزعامـة والإمارة وادعاء أنـه الرجل الوحيد فى العالم الذى وقف جهوده "لإقامة دين" و" تجديد دين" و"إحياء دين" و"إقامة حكومة صالحة" تحت ضوء القرآن والسنة ، وكان أسلوب تعبيره جذاباً وخلاباً ، وكانت جهود القوم ضد حكومـــة البريطانية واستيلائها على الهند ، وحدثت معارك فى مقاومة الشعب الهندى والأمة الهندية جمعاء مع الحكومة الغاشمة الظالمة البريطانية ، وكان الشعب الهندى منقسماً إلى طائفتين كبيرتين سياسيتين قد ارتفع صخبهما إلى السماء ؛ فى مثل هذه الظروف السياسية ظهر هذه الشخصية ؛ فمن الطبيعى أن ينال دعوتـه ونداءه إجابةً من جهات شتى وتلبيةً لأفكاره السياسية فى هذا البحر المتلاطم ، ويا ليت لو اكتفى بهذا ولم يدخل فى غمار تفسير القرآن ، ومقالات فى السنـــة ، ورسائل باسم " التفهيمات " و " التنقيحات " ورسائل فى مسائل أخرى لم يكن فيه كفاءة لها ، ولا رسوخ فى علومها ، ولا أهلية لـه فى تلك المسائل .

وكان الملائم أن يقف جهوده فى توحيد كلمة المسلمين وإيقاظهم من غفوتهم ، وأن لايزعج المسلمين فى عقائدهم وأذواقهم ومسائلهم نظراً إلى أهمية الاتحاد وتوحيد الكلمة، وخوفاً من التشتت والافتراق، ويا ليت لو فعل هذا لكان زعيماً سياسياً مقبول الصيت ومسموع الصوت مستجاب القول ناجحاً ظافراً ، ويا حبذا لو كان هذا فحسب ؛ فإن لقلمه السيال وملكته فى الإنشاء باللغة الأردوية ، والمقدرة الفائقة فى حسن التعبير ، واللباقة فى صياغة الأسلوب تأثيراً فى النفوس ، وأخذاً بمجامع القلوب ، ولكن بالأسف الشديد تعرض فى كتاباته إلى النقد بالسلف الصالحين من المفسرين والمحدثين والفقهاء والأئمة المجتهدين والمتكلمين من أقدم العصور إلى اليوم ، وجاء فى أبحاثه مالايستساغ ديناً وعلماً .

ومن بواعث الأسف أن الشيخ المودودى وصل إلى الثانوية من التعليم المدنى ، وتلقى مبادئ الكتب العربية فى بيته ، ثم دخل معهداً بحيدر آباد فيه كان مبادئ التعليم الدينى مع شئ من التعليم المدنى ، وكان والده الكريم محامياً فترك وظيفته وأصيب بالشلل والفالج ، وبقى مريضاً نحو أربع سنوات إلى أن توفاه الله عز وجل ـ غفر له الله ورحمه ـ ولكن الشيخ المودودى فى حياته اضطر إلى معاشه وفى شرخ شبابه قبل إكمال الدراسة ، ومن سوء الصدفة أنه اصطحب كاتباً بارعاً فى اللغة الأردوية وكان من

كبار ملاحدة الكتاب وهو نياز فتحپورى (١) وقد تأثر إلى حد كبير من صحبته ، ويقول المودودى فى ما كتب فى حياتــه ما لفظه بالأردوية :

" ڈیڑھ سال کے تجربات نے یہ سبق دیا کہ دنیا میں عزت کے ساتھ زندگی بسر کرنے کیلئے اپنے پیروں پر آپ کھڑا ہونا ضروری ہے اور معاشی استقلال کیلئے جد وجہد کے بغیر چارہ کار نہیں ، فطرت نے تحریر و انشاء کا ملکہ ودیعت فرمایا تھا عام مطالعے سے اسکو اور تحریک ہوئی ، اسی زمانے میں جناب نیاز فتحپوری سے دوستانہ تعلقات ہوئے اور انکی صحبت بھی وجہ تحریک بنی غرض ان تمام وجوہ سے یہ فیصلہ کیا کہ قلم ہی کو وسیلۂ معاش قرار دینا چاہئے " اھ (٢) -

يقول : قد أثبتت التجارب فى عام ونصف أن قضاء الحياة بعزة لابد لها أن يستقل المرأ بكسب لمعاشــه مستغنياً عن الناس، وأن يجتهد لحياة طـيبة ، وإن ملكة الإنشاء والمقدرة على التعبير كانت مودعـة فى طبيعتى ، وقد قويت هذه الملكة بالمطالعات ، وقد حصلت لى الصلة و الصداقة بالأستاذ " نياز فتح بورى "

---

(١) وقد آل أمره إلى الخروج عن الدين ، واستهزأ بالجنة والنار، واتفق علماء الإسلام على خروجه عن الإسلام لكفره الصريح ؛ فتاب وأناب مدةً ثم ارتدّ وأصر على كفره البواح ، والعياذ بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(٢) مولانا مودودى (ص - ٢ ج) اسعد گيلانى .

وصحبته قد حثت عزمى و رغبتى، ونظراً إلى أمثال هذه الأسباب قمت بأمر فصل نهائى بأن أجعل تلك الملكة الإنشائية القلمية وسيلةً لمعيشتى اه؛ فكشف الستر وصدع بما هو ينويه ، فتقدم إلى الأمام و رافق أخاه السيد أبا الخير المودودى فى تحرير جريدة " مدينة " فى بجنور ، ولكن الظروف السياسية قد اضطرته إلى الانعزال عنها ، و اتصل بإدارة " انجمن اعانت نظر بندان اسلام " وبإدارة جريدة " تاج " الأسبوعية ، يقول: فكنت أكتب فيها إلى أن أصدرت إدارة " جمعية علماء الهند " جريدة " مسلم " تحت إشراف حضرة المفتى محمد كفاية الله والشيخ مولانا أحمد سعيد الدهلوى المغفور لهما.

ويقول الشيخ المودودى: إن من سنة ١٩١٦ م إلى ١٩٢١ ميلادية قد ضاقت بى الأرض واضطررت إلى جولات فى البلاد، وإلى رحلات فى الأقطار وكنت فى غاية الأسف على أن لم أنتهز فرصةً لإكمال الدراسة ولم أكن أقدر على إزالة هذه البلايا ، إلى أن أقمت بدهلى أشتغل بالكتابات فى جريدة " الجمعية " التى تصدر تحت إشراف " جمعية العلماء بالهند " وكنت أختلس فرصاً لإكمال دراستى وتعلم الكتب المختلفة فى الأدب و المنطق و الحديث و التفسير، ثم رجع الشيخ المودودى إلى " حيدر آباد دكن " وأراد أن يستقل بشئونه للمعاش ، فاشتغل بالتأليف والتصنيف إلى أن أصدر جريدةً شهريةً " ترجمان القرآن " سنة ١٣٥٢هـ ١٩٣٣ م ، ثم وفق لتأسيس إدارة " دار الإسلام " بمساعدة رفقائه الأربع وهم : مولانا

الشيخ محمد منظور النعمانى - وكان هو الباعث على الشيخ المودودى أولاً بإقامة هذه الإدارة - والثانى : مولانا الشيخ أبو الحسن الندوى اللكنوى ، والثالث : الشيخ مولانا أمين أحسن الإصلاحى ، والرابع : الشيخ مسعود عالم الندوى ، بمعونة أحد الأثرياء فى " بتهان كوت " سنة ١٣٥٧ ﻫ ١٩٣٨ م إلى أن أسس إدارةً باسم "جماعت إسلامى" (الجماعة الإسلامية) سنة ١٣٦٠ﻫ ١٩٤١ م ؛ لما ظهر بعض تآليفه و نشرت مقالاته بقلمه السيال وإنشائه البليغ أعجب به الناس وأخذوا يثنون على براعته وصياغته ، وظهرت كلمات الثناء والتقدير من أمثال المحقق الفاضل الشيخ مناظر أحسن الكيلانى المغفور له ، وإمام التاريخ الفاضل الشيخ السيد سليمان الندوى المغفور له ، والأستاذ عبد الماجد دريا بادى ، وغيرهم من المشاهير ؛ فأكب الشباب على أبحاثه واعتقدوا فضله ونبله ، واشتهر صيته ، ولكن سرعان ما تنبه أهل العلم وأرباب الفضل والكمال إلى مغامز من ثنايا تحريراته ومقالاته ، وإلى شذوذ فى آرائه وأفكاره ، وتفرس أرباب القلوب الزكية والأفكار النقية إلى عواقب خطرة فى ما يقوله ويجتهد له بالتدابير .

فأول من قام بالرد على كتاباته المحقق الشيخ مناظر أحسن الكيلانى ؛ فكتب فى الرد عليه مقالةً فى جريدة " صدق جديد " التى تصدر تحت إشراف عبد الماجد دريا بادى بعنوان "الخارجية الجديدة " ثم تنبه صاحب جريدة " الصدق " فقام بالرد عليه ، ثم السيد سليمان الندوى المغفور له ، ثم شيخ العصر وشيخ الإسلام الشيخ السيد حسين أحمد المدنى شيخ الحديث فى

دارالعلوم بديوبند رحمه الله ، واستقال اثنان من الإمارة من أمرائه الأربع من رفقائه الأربع بعد ستة أشهر - فيما أتذكر - وهما الشيخ النعمانى والشيخ أبو الحسن اللكنوى ، والثالث منهم انزوى بعد برهة من الدهر من بعد ما رأى شيئاً ظهر من عقيدته لا يستطاع وهو الشيخ الإصلاحى ، والرابع قد توفى قبل برهة من الزمان سامحه الله بفضله .

وبالجملة : كان الأساس أنه لم يتلق العلوم الشرعية من أهلها ، ولم يتقن العلوم العربية من أصلها ، ولم يستفد من صحبة أرباب الكمال الراسخين فى العلوم ، تلقى شيئاً من المبادئ وتقدم إلى الأمام بذكائه ومطالعاته ، وكان يختلس فرصةً بين حين وآخر للتلقى . ثم كان الضغث على الإبالة وفاة والده واحتياجه إلى معيشته وقضاء أبان فتوته فى جولات وأسفار ، وخدمات فى الجرائد والمجلات ، فبقى فى البين ، وهو لا يجيد اللغة الإنجليزية كتابةً وقراءةً وخطابةً إلا فهماً بمطالعته حيث لم تتم الدراسة ، وكل ما ترجم من تآليفه إنما هو ترجمة من الآخرين كما هو لايجيد اللغة العربية لاخطابةً ولا كتابةً ولا قراءةً ما عدا فهم ، وكل ما ظهر من تآليفه بالعربية فهو مترجم من الأردوية بقلم الشيخ مسعود عالم الندوى وتلاميذه ، وكل رسائله بالعربية من هذا القبيل وإن كان مكتوباً عليها " تأليف المودودى " دعايةً وادعاءً ، وظن القوم وخصوصاً علماء بلاد العرب والسعودية أنه نفسه ألفه بالعربية الفصحى بالأسلوب الأدبى الرائع المتين ، وأنى لهم

التناوش من مكان بعيد ، ومرةً فى دمشق ألقى مقالته فى اللغـة الأردوية، وأمروا الأستاذ أبا الحسن الندوى بترجمته إلى العربية .

هـذه نبذة يسيرة من حياته ، وهو زعيم سياسى قبل كل شئ ، كاتب قدير باللغة الأردوية ، له قلم سيال استفاد كثيراً من مشاهير أهل الإنشاء والكتابة ، وأسلوبه فى الإنشاء كان متأثراً من أولئك الأدباء أرباب الأقلام أول أمره ، ثم انتهى إلى أسلوب خاص جيد ، وله ملكـة فى تجزئة الأبحاث و تحليل الأفكار ، ألف عدة تأليفات احتوت أبحاثاً رائعةً بيد أن قلمه زاغ وطغى ؛ فجاءت فيها أفكار زائغـة قرعت الأسماع وأدهشت الأفكار ؛ فكان فى أكابر علماء الأمة شيخ العصر مولانا السيد حسين أحمد المدنى أول من تفطن وتفرس العواقب الوخيمـة الخطرة قبل كل أحد فى آرائـه الزائغة ، ثم قام غير واحد من العلماء على الرد على أفكاره ومعتقداته ، ولكن كانت هذه الردود لأجل عدم إجادة الأسلوب أو عدم استيفاء البحث أو اختلط فيها الحابل بالنابل فلم يتميز هناك الأهم من غير الأهم فلم تقع من العامة موضع القبول ، ولكن الردود لا تزال مستمرةً بين حين وآخر ، و سكتُّ أنا مدةً طويلـةً نحو ثلث القرن وطالما تجرعنا غصصاً حينما يظهر شئ من هفواته الزائغة .

ولم تمض علىّ ساعـة واحدة فى الموافقة على ما زاغ من تفكيره بيد أنى آثرت السكوت لبعض المصالح الدينية حيث إن كتاباتـه كانت تنفع الجيل الجديد ، والناشئـة الحديثة التى

كانت وصلت إلى الإلحاد أو كادت ، وكانت أوقع شئ فى كبح شكيمتهم وإلجامهم، ثم من أعضاء جماعته وأركان إدارته بدت أشياء نافعة للمسلمين ، فعلى الرغم من عدم موافقتى مع آرائه آثرت السكوت ولم أحب أن أجرحه جرحاً ينحرف الجيل الجديد ويتنفر ، ولكن من عدة أعوام كانت الوجوه متجاذبة فى النقد والبحث وإبداء زيغه وضلاله إلى أن طال السكوت ووصلت الحال إلى أن السكوت عن الإظهار يكون ذنباً لايغفر وجريمة لاتنكر ، وقد حان أن أنبه القوم بعد الصبر والتحمل لأفكاره وآرائه بما يقتضى الحق منا بإحقاق الحق وإبطال الباطل من غير مواربة ومداهنة ، فإن الفريضة قد حقت على ذمة الأمة من صيانة سياج الدين عن كل إلحاد وتحريف ؛ والمسئولية على أكتافها تستدعى الفراغ عن هذه الوظيفة .

ولاشك أن فى تأليفاتـه بعض الفوائد من تسديد الجيل الجديد ، وإن تحرير المقاصد بأسلوبه المؤثر كان نافعاً من هذه الناحية ، بيد أن البلية قد طمت ، والأمر قد تفاقم ، واتسع الخرق ، وأدركنا أن الإثم أكبر من النفع ، والضرر أشد من الفائدة ، والشر أغلب من الخير ، وكم كنت أتمنى أن يقوم بهذا الأمر من هو أحق به وأهله ، ومن عرفه الناس وسارت بفضله الركبان ، وتآليفه قد شرقت وغربت ، ويكون قيام مثله للذب عن الدين أنفع وأنجع وقدماً قيل فى المثل السائر : أعط القوس باريها ، وهما رجلان أعلم الناس بدخائله ، وأقرب لتلبية القوم على ندائها ؛ فالمسئولية على أكتافهما كان أكثر من كل أحد ، وبكل الأسف أقول : قد انتظرت

قيامها برهةً من الدهر طويلةً ولكن خاب الرجاء وانقطع الأمل وحق لى أن أتمثل بأبيات صحابى جليل :

خليلى غضا ساعــةً وتهجرا
ولوما على ما أحدث الدهر أو ذرا
ولا خير فى حلم إذا لم تكن لــه
بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل إذا لم يكن لـه
حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فاضطررنا إلى القيام بهذا الأمر ، وتحتم علينا هذا الفرض ، حيث إن محبــة الإيمان وما يقتضيه الإيمان أشد وأقوى من كل محبة ، ومن محبة رجل أرداه قلمه وتفكيره فى مهاو بعيدة عن الحق ، والذب عن الدين أعنى وأهم من كل شئ ، والكلام كان شاقاً علىّ ، والحديث عن النقد عليه كان عزيزاً علىّ ، وأنا أدرى أنى عسى أن يكون نفسى دريئةً للمطاعن ، وهدفاً لكل ملام ، وغرضاً للسهام ، ولا سيما من الذين غرهم سمتـه ، ويظنون أن شخصية المودودى شخصيــة فذة قام بخدمــة لاتبارى ولا تجارى ، مثل أعضاء " رابطــة العالم الإسلامى " ومشايخ نجد والرياض بالمملكــة العربية السعوديــة ، وكثير من الناس فى البلاد العربية أصبحوا مغرمين به حباً للإسلام وخدمته .

وأنا أدرى أن علماء المملكة العربية السعودية لوعلموا ما فى تأليفاتـه بالأردويـة من الطامات ، والبعد عن الحق ، والطعن

على الصحابة ، والحط عن الخليفة الراشد سيدنا عثمان ، والتحريف فى مصطلحات الشريعة وآيات القرآن ، والازدراء بالسلف الصالحين من الأولين والآخرين ، لوعرفوا ذلك لكانوا أول الناس براءة من إجلاله وتوقيره ، وأول الناس إنكاراً على عقائده حيث عرفناهم منقادين للحق بكل صراحة من غير مراوغة ومواربة ، وأشد الناس شكيمة عن كبح جماح الضلال والزيغ ، وأعمل الناس بالسنة ، وأترك الناس للمنكرات والبدع ، وأنا أدرى أنه غرهم سمته ، وحسبوا بادعائه ودعايته أنه الرجل الوحيد فى باكستان الداعى إلى إحياء الدين وتجديده ، وأنه القائم بالجهود إلى إقامة حكومة صالحة فى باكستان ، وأنه الرجل المظلوم فى هذه البلاد ، قاس آلاماً للدين ، وله مفاخر لايدانيه فيها أحد ، ولا خبرة لهؤلاء بما فى رسائله من طامات وخرافات حيث لم تترجم هذه الأشياء إلى العربية ولم تصل إليهم ، وإنما ترجم من كتبه وأبحاثه ما جعله مقرباً لديهم ومحترماً عندهم ، كما أنه ليس لهم علم بما فى باطنه من حب الزعامة والرئاسة وما فى طبيعته من الكبر ، والغيب لايعلمه إلا الله ، ويوشك أن لو علموا لتبرءوا كل البراءة كما جربنا من سجاياهم الفطرية الجنوح إلى الحق فى معرض الخصام والرغبة إلى الصواب .

وكم رأينا رجالا كانوا مقربين لديهم بعلومهم وبأقلامهم ثم لما ظهر منهم بعدهم عن الصواب وغلوهم فى بعض الأمور ، وخروجهم عن الجادة القويمة تبرءوا منهم فجزاهم الله خيراً ،

وذلك مثل القصيمى صاحب " الصراع " والناصر الألبانى مدرس جامعة المدينة .

فالمرجو منهم أن يعودوا نظرةً فى المودودى ، ويفكروا فى تلك الآراء الطائشة الخارجة عن الدين ، والله يقول الحق ويهدى السبيل ، والله يشهد أنى قمت بهذا الأمر ابتغاءً لوجه الله تعالى بتوفيقه لا حباً للثناء والتقدير ، ولا خوفاً من الملام والازدراء والتحقير ، وأتمثل بقول سيدنا خبيب رضى الله عنه :

وذلك فى ذات الإله وإن يشأ ‏ ‏ يبارك على أوصال شلو ممزع

وكما قال أبوالعلاء المعرى فى لزوم ما لا يلزم :

ونرجو من الله الثواب مجازياً ‏ ‏ وله علينا فى القديم تسلف

وفضيلة المحدث الكبير مولانا الشيخ محمد زكريا الملقب بشيخ الحديث قبل أكثر من عشرين سنةً كتب خطاباً إلى بعض علماء مدرسته وهوالشيخ محمد زكريا القدوسى لما جنح إلى آراء الشيخ المودودى وتأثر بأفكاره ، كتب إليه كتاباً ينبهه على زيغ وضلال نصوحةً له وإرشاداً ، وقد ألف أيضاً جزءاً مستقلاً جمع فيه آراءه البعيدة عن الصواب ، وبالأسف أنه لم يطبع وطبع هذا الخطاب بالأردوية وقد ترجمه إلى اللغة العربية مع تخريج أحاديثه أخونا فى الله فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرزاق اسكندر الهزاروى الباكستانى ؛ فنقدم إلى الأمة هذا الخطاب المطبوع المترجم المشير إلى شئ من أفكاره وما ينتج من زيغ وضلال ، والكتاب بين

أيدى الناظرين أمام القارئين لاحاجة إلى نقل شئ منه ؛ وإنما أقدم للناظرين عدة نماذج من زيغه المبين، وقد دعت الحال إلى أن أنادى على رءوس الأشهاد أن الرجل زائغ ، ضال ، مضل ، فى كتبه ورسائله طامات، منها : ما يوجب الفسق، ومنها : ما يوجب الابتداع فى الدين ، ومنها : ما يوجب الإلحاد ، ومنها : ما يوجب ما أسكت عنه ، وفى بعضها دلالة على جهله بالدين وغباوته على اليقين ، وتضارب وتهافت فى بياناته وكتاباته ، وتجهيل للسلف الصالحين من أقدم العصور إلى يومنا هذا ؛ فهذا الطعن جهود السلف الصالحين والمؤاخذة عليهم يدل على إعجاب فى رأيه ما لايتحمل ، وكبر له فى سجيته ما لا يستساغ ، وسنفرد كتاباً خاصاً فى الموضوع جامعاً لأفكاره الزائغة بكل تفصيل ، وهذه التقدمة لاتحتمل غير عدة نماذج ، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

شيء من أفكاره

الله ، والرب ، والعبادة ، والدين في نظره

١ ـ يقول المودودي في مقدمة كتابه " قرآن كى چار بنيادى اصطلاحين " ـ أي أربعة مصطلحات القرآن الأساسية ـ ماترجمته إلى العربية : الإله ، والرب ، والعبادة ، والدين ، أربعة مصطلحات أساسية للقرآن، من عرفها عرف القرآن ومن لم يعرفها لم يعرف القرآن ، ولم يعرف التوحيد، ولم يعرف الشرك ولم يعرف أن العبادة لله وحده ؛ فمن خفيت عليه هذه المصطلحات خفي عليه فهم القرآن وإن كان مؤمناً ، وعلى الرغم من كونه مؤمناً يكون ناقص العقيدة والعمل (١) ثم يدعى : وقد وقع تغير في معاني هذه المصطلحات عن فهمها في عهد النزول ، وانحازت هذه المعاني الوسيعة إلى معان ضيقة محدودة مبهمة ، وذلك لأمرين : ١ـ لقلة ذوق العربية . ٢ـ ولكون المسلمين ولدوا في الإسلام ؛ فلم يعرفوا تلك المعاني المستعملة في الكفار في عهد نزول القرآن فخفيت على أئمة اللغة وأرباب التفسير تلك المصطلحات بمعانيها المستعملة في عهد النزول، وفهم هؤلاء ما كان يفهمه المسلمون . (٢)

---

(١) ص ـ ١٠ (٢) ص ـ ١٢

ثم يدعى ويقول : والواقع أنه لخفاء هذه المعانى خفى على الناس ثلاثة أرباع الدين ، بل خفيت عليهم روح الإسلام الحقيقية ، ومن أجل ذلك ترى نقصاً فى عقائدهم وأعمالهم (١) فهذه ترجمة عبارته بكل أمانـة و ديانـة . وفى ختام رسالته فى (ص - ١٥٦) يقول : إن الله سبحانه أمره ﷺ فى سورة النصر بأن يستغفر ربه ما صدر منه فى أداء الفرائض (أى فرائض نبوته) من تقصيرات و نقائص ، و لفظه بالأردوية :

اور اس ذات سے درخواست کرو کہ مالک : اس ۲۳ سال کے زمانہ خدمت میں اپنے فرائض ادا کرنے میں جو خامیاں اور کوتاهیاں مجھ سے سرزد هوگئی هوں آنهیں معاف فرمادے -

الانتقاد والمؤاخذة : استبان من كلامـه أن اللغويين والمفسرين لم يعرفوا معانى هذه الأسماء المرادة عند الله، ولم يستثن أحداً منهم، ولا ريب أن مثل هذه الدعوى العريضة بأنه لم يفهمها أحد إلا الأستاذ المودودى ، ومن العجيب المدهش أن المودودى لما أخذ يشرحها اضطرَّ فى شرحها إلى أئمة اللغة من القرون المتوسطة كابن الأثير الجزرى، وابن منظور الإفريقى ، والفيروز آبادى من "النهاية" و"اللسان" و"القاموس" دون أن يبلغ شأوه إلى قدماء أهل اللغة كأبى عبيدة ، وأبى عبيد وأبى حنيفة الدينورى ، وابن قتيبة ، وغيرهم ممن بعدهم من الأزهرى ، والجوهرى ، فكيف

(١) ص - ١٤

استقام للمودودى أن يأخــذ شرحها وبيانها ومعانيها الحقيقية والمجازية من هؤلاء الذين لم يعرفوا معانيها المرادة عند العرب حيث ولدوا مسلمين فى بيوت المسلمين .

ومثل هذه الدعوى العريضة فتح لباب كل زيغ وضلال ، يرتفع الأمان عن أرباب اللغة والمفسرين طوال هــذه القرون ، وفتح للتأويل فى القرآن بما يفهمه العقل والإدراك كيف ما شاء دون أن يستشهد و يحتج بأئمة اللغـة وأرباب التفسير ؛ فانظر يا رعاك الله شئ لم يعرفه محمد بن جرير الطبرى إلى ما بعده ، ولا الجرجانى، ولا الزمخشرى ، ولا ابن تيمية ، ولا ابن القيم ، ولا ابن كثير ، ولا من قبلهم ولا من بعدهم ، والمودودى الذى قام بفهمه بعد هذه الفترة الطويلة من القرون الأربعة عشرة ، وكانت هذه الفجوة البعيدة للجهل بمعانيها ، ومن هذه الكلمات الأربع : الإله ، والرب ، والعبادة ، والدين .

هل يكون جهل فاضح من هـذا لم يعرفه أحد من العرب ولا من العجم من اللغويين والمفسرين والمحدثين وأرباب البلاغة وأئمة العربية من أقدم العصور إلى اليوم وإنما فهمها رجل عجمى لايجيد اللغــة العربية لانطقاً ولا كتابةً ولا يكاد يفهمها إلا بشق النفس بمعونة التراجم الأردوية ؛ فعباد اللات والعزى عرفوا معانى الإله ، والرب ، والعبادة ، والدين ، والأمة المسلمة جمعاء مع تلقيهم علوم النبوة طبقــةً بعد طبقة تجهل معانيها ؛ فهل رأيت يا سبحان الله ! كلاماً أبعد عن العقول من هذه الدعوى؟!

شئ يعرفـه الكفار فى جاهليتهم ولا يعرفـه المسلمون فى عهد الإسلام على الرغم من كونـه ﷺ يعلمهم الكتاب والحكمة ، فكأنـه لم يفهمه النبى ﷺ أو لم يعلمهم ، وإذا علمهم انقطع هذا الفهم إلى قرون ، لما ذا هذه الدعاوى العريضة الطويلة ؟!

نعم لحاجة فى النفس ولمرض فى القلب يدعى ذلك لكى يتمكن من تأويل وتحريف فى معانيها ، وكل ذلك تمهيد لما بثه فى كتبه ورسائله من تأويلات وتحريفات يتسنى له بها ما يحاول ، فجعل فى كتبه العبادة كل ما فى الدين من معاملات وعقود وعهود وشئون الدنيا والإدارة ونظام الحياة كلها جعلها عبادةً وهو يصرح بأن العبادة ليست منحصرة فى الصلاة والزكاة والصوم والحج وليس بها نجاة ما لم تكن معها ما يدعى من بقية شئون الحياة حتى ادعى أن هذه العبادات ليست مقاصد فى الإسلام ، وإنما هى وسيلة للحصول على السلطة والاقتدار على الحكومة وتأسيس دولة ، فيستنتج من هذا أن الحكومة إذا حصلت انتهى الغرض من تلك الوسائل، فلا لزوم إذن لهذه العبادات الأربع خصوصاً ، وستعرف إن شاء الله تعالى تلك العبارات فى خطاب الشيخ محمد زكريا شيخ الحديث ـ طالت حياته النافعة ـ ما ينشر قريباً وتكون هذه الكلمة تقدمةً لخطابه .

فهل رأيت ضلالاً وزيغاً أبين من هذا ، ولكن أكثر ذلك فى كتبه وكتاباته كدبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء الملساء ، يعبر عنها بأسلوب قلما يتنبه له أحد، ولا ريب أن العصر عصر الفتن العمياء كما جاء فى حديث الصحيحين فى حق رجل:

« ما أعقله وما أظرفه وما فى قلبه من حبة من خردل من إيمان » والعياذ بالله ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، و إذا كان الرسول عليه الصلاة والتسليمات خاتم النبيين ، و الأمة المرحومة خاتم الأمم وقد قال ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتى قائمين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك » كما رواه البخارى من حديث معاوية ، وكما فى حديث رواه البيهقى فى بعض كتبه : « يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله إلخ » فهل من الممكن أن يخفى أساس الدين الإسلامى على أحد ويتمكن كل مضل مما يشاء ؟ كلا ثم كلا ، الدين محفوظ ، وتعليمات سيدنا الرسول عليه صلوات الله وسلامه محفوظة ، و الحقائق الشرعية محفوظة معمولة واضحة علماً وعملاً لا يحول دونها ريب ولا شبهة .

والحاصل : أن هذه الأسماء إذا لم يعرف أحد معانيها غيره فله ما يشاء من تأويل وتحريف ويفتح له باب التأويل بمصراعيه ، ويتمكن من تجهيل الأمة الإسلامية علمائها ومحدثيها و فقهائها قاطبةً ، وعسى أن يكون فى هذا التنبيه مقنع وكفاية فى نتيجة بحثه وتحقيقه ، والله المستعان .

ثم إن من العجيب أن ما قاله فى خاتمة الرسالة : إنه أمر بالاستغفار لتقصيره فى فرائض النبوة ، أين ذلك الذكر من التقصير وعدم القيام بالواجب ، فكأنه يفهم أنه لا استغفار إلا من أجل الذنب وأنه كان مذنباً ومقصراً فى أداء الوظيفة ،

ولايدرى المسكين أن هناك عامل لاستغفاره ، فهو ﷺ كان إذا سلم وفرغ من صلاتـــه يقول : « أستغفر الله ، أستغفر الله » فهل الصلاة كان ذنباً كان يستغفر ربـــه عنها ؟ وبعد الخروج عن المرحاض كان يقول : « غفرانك » فهل كان عصا ربه فاستغفره؟ وما إلى ذلك من الأمور ، أليس الله سبحانه أعلن فى سورة الفتح إعلاناً عاماً بقوله : « ليغفرلك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » فهكذا رفع الله سبحانه قدره وأتمّ عليه نعمته ، واتفقت الأمـــة جمعاء على كون النبى معصوماً ، وإنما الاستغفار فى أمثال هذا نظراً إلى شدة معرفته بالله ومعرفته لكبريائه تعالى وقصور حمده عن جلاله وكبريائه يستغفر للتقصير كما فى حديث "مسلم" فى دعاء السجود : « لا أحصى ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » فليس هناك ذنب ولا معصية ، ولا تقصير ولا زلة ؛ فأين التقصير فى أداء فريضة النبوة ؟ وأين النقص فى القيام بأعباء النبوة ؟ فالمودودى كأنه بالمرصاد ينتهز فرصةً لما فى قلبه ومعتقده أن الأنبياء كلهم خطاءون مـــذنبون ، وأن العصمة ليست دائمة مستمرة ، فيظهر من قلمه ويقطر ما فى قلبه ذلك الذى يعتقده ، وإن الإناء يترشح بما فيـــه ، وسيتضح هذه الأمور فيما سيأتى عليك بيانه .

وإنما يتفوه المودودى فى كتاباته بين حين وآخر بتقصيره ﷺ أو بتقصير غيره مـن الأنبياء ليست هذه زلـــة قلم وإنما هو شئ رسخ فى قلبـــه كعقيدة ، وأصبح أصلا من أصولـــه الموضوعة ، وبمثله يكون قدحاً فى منصب النبوة يتزعزع به

أساس الدين ؛ فهو يعتقد أنه بشر كسائر البشر يخطئ ويصيب ، يطيع ويعصى ، ولا يكون هو معصوماً ، ومن طالع كتبه ومقالاته وأبحاثه وقف على ذلك من ثناياها بثلج صدر وشفاء قلب ؛ فهو غير معصوم ، والصحابة بقى فيهم شيءٌ من أمراض الجاهلية لم يتزكوا ، فإذن يرتفع الأمان من الدين فعمن نأخذ الدين ؟ إنا لله وإنا إليه راجعون .

وكل يدعى وصلاً بليلى وليلى لا تقر لهم بذاك

وواحد من جماعته معروف بالعلم وهو المفتى محمد يوسف من سكان بنير من مضافاة " سوات " كتب إلى مرةً رداً على مقالة لى نشرت فى مجلة " بينات " بأن القرآن مملو بأن الأنبياء كلهم عصاة مذنبون ، وأنت تدعى لهم العصمة ! إنا لله ؛ فيعلم من ذلك أن هؤلاء الجماعة معتقدهم ذلك ورثوه من أميرهم ورئيسهم .

أصول الإسلام تتغير عند المصلحة

٢- يقول الأستاذ المودودي ما ملخصه : " إن أصول الإسلام قسمان : قسم لا يدخله التغير ولا التعديل كالتوحيد والرسالة ، وقسم يدخله التغير إذا ما اقتضته المصالح " ، ثم يمثله المودودي بقوله : إن الله سبحانه يقول : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » يقول : هذا أصل من أصول الدين العدل بين الأفراد والشعوب ، والقضاء على كل تفرقة عنصرية من النسب

والقبيلة ، والكرم والتفاضل بالتقوى بينه تعالى وعمل به سيدنا الرسول عليه صلوات الله وسلامه ، أعلن به الرسول غير مرة ، وعمل بـــه حيث ولى العبيد والموالى مناصباً مـــن الإمارة ، واجتهد لإقامة هذا النظام ولكن سرعان ما ترك هذه القاعدة الأساسية لما حان إقامة نظام المملكة وقال : « الأئمة من قريش »" هذا ترجمة عبارته التى حكاه الأستاذ محمد أشرف المحترم فى مجلته " المنبر " ٢١ يناير ١٩٥٨ م حينما أطال النقد عـــلى هذه الفكرة الخاطئة .

ويقول المودودى : إن العرب ما كانت تتحمل أن تكون خلافـة ورئاسة لعجمى بل ما كانت تتحمل أن يسلط عليها غير قرشى ؛ فترك العمل سيدنا الرسول بما أفـاده القرآن من أصل أساسى فى المساواة ، ومنع أصحابه عن ذلك لأجل إقامة الدين ، إلى آخر ما قال وأطال فى ترجمانه تحت عنوان " موقف الجماعة الإسلامية " .

الانتقاد والمؤاخذة : هـــذه فكرة خاطئة إلى الغاية بلغت غايتها فى الضلال والزيغ لا يبررهـا أى تأويل تغنى عن القيام بالرد والنقد ، حيث إن شناعتها قـــد وضحت كصديع الفجر لايحتاج إلى إقامة دليل وبرهان ، فكل عبادة ودين من صلاة ، وزكاة ، وصيام ، وحج وغيرها وإن كانـت مقاصـد أساسية للإسلام ولكنها تتغير وتتبدل إذا اقتضته مصالح نظام المملكة ويسميه هو : "الحكمة العملية" تدخل فى كل شئ من أصول الدين

الشرعية ؛ انظر يا رعاك الله ! هل رأيت ضلالاً صراحاً وزيغاً بواحاً أبين من هذا ؟ والأستاذ المودودى استمسك بهذه الفكرة المخترعة فى نظام " الجماعة الإسلامية " حينما كانت الانتخابات والترشيحات للمجلس النيابى ورئاستها لدولة باكستان ، فقامت السيدة فاطمة جناح فى مقاومــة السيد أيوب الرئيس المرحوم لحكومة باكستان .

فقام المودودى وجماعته لتأييد السيدة فاطمة بكل ما أعطاه الله من حول وطول، وادعى أن صفات الرئاسة وخصائص الولاية كلها موفورة فيها حين أن أيوب محروم عن كلها ، فهى السيدة تستحق أن تكون رئيسةً للمملكة ، فاعترضه العلماء والشعب بأن المرأة ليس فيها كفاءة للرئاسة بأصول الإسلام ولايمكن أن تكون رئيسةً ، فاستمسك بتلك القاعدة الأساسية التى أصبح عليها اليوم مداراً للجماعة بأن تلك الضابطة من أصول الإسلام التى يلحقها التغيير والتعديل وليس مثل التوحيد والرسالة .

وطال بعقيدته هذه شغب كثير وبحوث واسعة فى الجرائد والمجلات والمحافل والمؤتمرات ، وارتفع صخبها إلى السماء بكل واد وناد، وقد استقال منصبه فى الجماعة بهذه الفكرة الأستاذ أمين أحسن الإصلاحى سنة ١٩٥٧ م الذى كان أتبع له من ظله، وهو الذى قوى أزره فى الجماعة ، والذى حبر وصوّر كثيراً مــن أفكاره ، ودافع عنه بكل ما أمكن له، بيد أنه لم يستطع أن يبقى معه بعد هذا ، ولم يمكن له أن يتجرع هذه الغصة وأن يستسيغها ،

ففارقه فى حسرة وندامة بأنه أضاع قوته وشبابه وبراعته وهمته مع هذا الرجل الزائغ .

عصمة الانبياء غير مستمرة

٣- قال الأستاذ المودودى : العصمة للأنبياء ليست من لوازم ذواتهم ولكن الله تعالى يحفظهم من الخطايا والزلات لأجل قيامهم بفرائض النبوة ، ولو رفع الله منهم هذه الحفاظة لساعة لكانوا مثل عامة الناس فى الخطأ والزلات ... ومن لطيف التدبير أن الله يرفع أحياناً منهم هذه الخاصية لكى يصدر عنهم بعض الزلات، ويريد الله ذلك منهم لكى يظهر أنهم بشر وليسوا آلهةً (ترجمة كلامه فى التفهيمات (ص-٥٧) الجزء الثانى، الطبعة الثالثة)

الانتقاد والمؤاخذة : عصمة الأنبياء فى أمور النبوة كلمة اتفاق بين الأمة ، ورفع العصمة عنهم فى بعض الأحيان فى غاية الخطر حيث إن ذلك الوقت غير متعين ، ففساد هذه النكتة واضح ويجرُّ إلى مفاسد فى شأن النبوة ، فلقائل أن يقول فى كل شئ : إنه ﷺ فعل ذلك فى ذلك الوقت الذى رفعت عصمته ، فإذن يرتفع الأمان عن النبوة ، والذى قاله علماء الأمة : إن النبي ﷺ تارةً يجتهد فإذا أخطأ فى اجتهاده نزل تنبيه من الله عزّ وجل على وقوع الخطأ ، وإذا لم ينزل الوحى علم أنه وافق الأمر الإلهى على اجتهاده وكان مصيباً فيه، فأين ذلك مما يقوله الأستاذ المودودى ؟ والأستاذ المودودى يصرح بأن الأنبياء ليسوا بمحفوظين عن شر النفس ، وإن داود عليه السلام كان خاطئاً ، وإن يونس عليه

السلام وقع منه تقصير فى أداء فريضة النبوة ، وإن موسى عليه السلام كان عجولاً ، وإن آدم عليه السلام وقع فى هوة المعصية لأجل غلبة الحرص عليه ، وما إلى ذلك من هفوات مبثوثة فى تأليفاته وكتاباته .

ثم إن ما يقوله لإظهار أنهم بشر وليسوا بآلهة أليس يكفى أنهم يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق ؟ أليس يأتى عليهم الفناء والموت وأن الله سبحانه حى لايموت ، فكيف إن أكلهم وشربهم والموت وما إلى ذلك من صفات البشرية أليس يدل ذلك على أنهم بشر و ليسوا بآلهة ؟ وهل يفتقر إلى أظهار بشريتهم أن يذنبوا وأن يعصوا ، وأن تقع منهم زلات وتقصيرات ؟ ما لهذا الفهم الخاطئ الضال ! !

أصل الدين فى نظره اقامة الخلافة و الحكومة

٤ - يقول المودودى فى "خطباته" (ص-٢٢٧) ما ترجمته :
إن هذه العبادات من الصلاة والصيام والزكاة والحج فرضها الله عليكم وجعلها من أركان الإسلام ، شأنها ليست كعبادات المذاهب الأخرى ، إذا قمتم بها فرغت ذمتكم و رضى الله بها عنكم ، بل فرضت هذه العبادات إعداداً لمقصد عظيم وأمر جليل ، إلى أن قال : وبالاختصار والتلخيص يقال : إن الغرض أن يخرج المرأ من سلطة الإنسان ، ويدخل تحت سلطان الله الأحد ، والجهاد

هو بذل النفس والجهد التام لهذا الغرض، والصلاة والصيام والحج والزكاة للإعداد لهذا الغرض الوحيد اه .

الانتقاد والمؤاخذة : تدل هذه الفكرة على أن العبادات ليست من مقاصد الدين الإسلامى ، وإنما الغرض منها هوحصول النظام الشرعى أى الخلافة الإسلامية ، وشرعت هذه العبادات للحصول على السلطة والاقتدار ، والمقصد من الإسلام إقامة هذا النظام، وهذا قلب للحقائق الإسلامية والشرائع الإلهية ، وخروج عن الصراط المستقيم ، فالحكومة الإسلامية أوالنظام الصالح وسيلة لأداء الفرائض والواجبات الشرعية ، فإقامة العدل والتفرغ للعبادة إنما يحصل بهذه السلطة ، فالسلطة مطلوبة لإقامة الدين وأداء العبادات ؛ فالعبادة مقصودة من أكبر مقاصد الدين ، والخلافة والحكومة وسيلة للحصول على هذا المقصود، والله سبحانه وتعالى يقول : « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور» (سورة الحج - ٤١) فجعل الله سبحانه هذه العبادات غايةً للحكومة والسلطة ، فانظر كيف عكس الأمر وقلب فجعل المقصد وسيلةً والوسيلة مقصداً ، وهذا فضلاً عن كونه قلب الحقائق الشرعية وسيلة لكل زيغ وضلال ، فإذا حصلت السلطة و حصل المقصد فما ذا تنفع الوسيلة وأىّ لزوم لإبقاء الوسائل بعد حصول المقاصد ؟

وبالغ فى تحريراته وكتاباته تأييداً لهذا الهدف المنشود ما لايترك مجالاً للتأويل، فيقول فى كتاب " روئے داد " (أى مرآة

الجماعة وأعمالها) : إن المقصد الحقيقى من الدين هو الإمارة الصالحة ، وصرح فيه : وليس هناك أى عمل موصل إلى رضائه تعالى بعد الغفلة عن هذا الغرض ، وذكر هناك : وحصول هـذا الغرض يتوقف على قـوة اجتماعية ، فمن أخلّ بها ارتكب جريمةً عظيمةً لايمحوها الإقرار بالتوحيد وإقامة الصلاة ؛ فهكذا يدندن حول هذا الموضوع بأساليب شتى ما لا يدع مساغاً للتأويل فى أن الغرض من الدين هذه الأمور السياسية من نظام الحكومة ، ومن دونها لا يقبل صلاة ولاصيام ولاعبادة ولاتوحيد ، وأرى أن أول من تنبه له فقام بالرد عليه هو الأستاذ عبد الماجد دريا بادى فى مجلته المعروفة " صدق جديد " .

ومثل هذه القواعد الأساسية للجماعة الإسلامية وحدها يكفى لأن يفتح عيون الناس وينور بصائرهم فى المودودى وأفكاره ، ولكن بكل أسف شديد أقول : حبك الشئ يعمى ويصم ؛ « فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » صدق الله العظيم ؛ فقد فرّط فى ما بنى عليه الإسلام من العبادات كما أفرط فى إقامة الحكومـة ؛ فهل مثل هذا يعبر بـه عن تجديد الدين ، وإحياء الدين ، هذا تجديد أوهدم للدين ؟! وهل هـذا إحياء للدين أم إماتة للدين ؟ ! فرحم الله مـن أنصف ولم يتعسف .

الهدى والدين فى نظر المودودى

٥- يقول فى كتابـه : " سياسى كشمكش " فى الجزء الثالث (ص - ٩٣) مفسراً قوله تعالى : « هو الذى أرسل رسوله

بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون »
يقول : المراد من الهدى فى الآيـة : أن يعيش المرأ فى الدنيا فى نظام صالح للفرد ، والعشيرة ، والبيئة ، والمعاش ، وتدبير الملك ، والحكمـة العملية فى السياسة ، والعلاقات العالمية الدولية ، أى جميع نواحى حياة المرأ كيف يعيش فيها ، هذا هو الهدى الذى أرسل الله رسوله به .

يقول : والمراد من الدين : معناه قريب مما يعبر به اليوم " استيت " (STATE) بأن يدين الناس للسلطة العليا ، و" دين الحق " أن تكون هذه السلطـة لله وحده دون أن يكون للغير فيها شأن ، فالرسول مأمور بنظام للملكـة يكون فيها الحاكم هو الله وحده ، هذه ترجمة عبارته بغاية الأمانة .

الانتقاد والمؤاخذة : غير خاف على أحد من له أدنى إلمام بالدين أن الدين عبارة عن مجموعة من العقائد الدينية ، والعبادات الشرعية ، والأحكام التكليفية ، والأخلاق المرضية ، فهناك عبادات وعقائد وأعمال وأخلاق يشملها كلمة الدين ، وهذا هو الذى يصرح به القرآن الكريم وأحاديث النبى الكريم عليه صلوات الله وسلامـه ، وإليه الإشارة فى قوله تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام » وفى قولـه تعالى : « ورضيت لكم الإسلام ديناً » فدين الإسلام جامع لسائر العقائد ، والعبادات ، والأحكام ، والأخلاق ، والمعاملات الفرديـة والاجتماعيـة والوطنية ، فما يتعلق بالمسائل الاجتماعية أو الوطنية أو العالمية

الدولية تدخل تحت السياسة الشرعية ، فهى جزء من الدين لا أنه هو الدين كله ، فتفسير الدين بالحكومة أو الدولة وبالإنجليزية : " استيت " (STATE) فحسب بدعة وضلال وخروج عن الحق وعن الصراط السوى لا يرضى به الدين ولا أر باب الدين .

وقد أسلفت فيما تقدم من النقد بأن ما قاله بأن القوم لايدرون معانى الإله والرب والعبادة والدين فكل ذلك كان تمهيداً لأمثال هذه التحريفات البعيدة عن روح الدين ،وهو يتفاخر ويتباهى بأمثال هذه الخرافات « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً » فإذا كان الجيل الجديد أمامهم أمثال هذه الكتابات قل لى بالله ما ذا يفهمون الدين ؟ بل يشجعهم أمثال ذلك على الخروج من العبادات والطاعات ، وعلى الحث من إقامة دولة سياسية وحكومة دنيوية وإن كان يلبس على الناس بتسميتها حكومةً صالحةً ، وأين الصلاح من غير التقوى والاجتناب عن الحرام و المنكرات ؟ فما ذا تنفع تلك الألفاظ الهائلة من إقامة الدين وتجديد الدين وإصلاح الأمة وإقامة المعروفات وترك المنكرات ، أسماء فارغة ما لها من حقيقة .

وهذا يدلنا على أن الرجل سياسى داهية يجتهد أن يكون زعيماً للمملكة ، ولكن الزعامة فى مثل شعب پاكستانى متصلب فى الدين لايتم إلا باسم الدين ، ولو فرضنا أن نيته صالحة وهو حاول الإصلاح ويكون هو مخلصاً فى نيته وطويته ، يمكن أن يكون ذلك ولكنه لعدم استفادته من أهل الفضل والتقوى والعلم

والدين ولعدم حصول علوم النبوة على طريقة أهلها سقط فى مهاوى من الضلال والزيغ ، وأصبح نهضته ثم جماعته التى تربت على هذه الأصول والقواعد وسيلةً لكل إلحاد وزندقة ، ومن الممكن أن ينجو هونفسه من هذه الموبقات ولكن أتباعه المغرمين برسائله غيرممكن أن يخرجوا من هذه المخزيات المرديات حيث انتهج لهم منهجاً يبلغ بهم إلى الضلال ، وخطَّ لهم خطةً توصلهم إلى النار ، والعياذ بالله .

قوله فى بيت الله الحرام وساكنيه

٦- يقول المودودى فى "ترجمان القرآن" (ج-٢٨ ص-١٧٣) طبع سنة ١٣٦٥ هـ : البقعة التى كانت استنارت بأنوارها الدنيا ، وصلت اليوم إلى عهد الجاهلية التى كانت قبل الإسلام، فلاترى هناك علماً ولاخلقاً ولاحياةً إسلاميةً يفد إليها الناس من بلاد بعيدة آخذين فى قلوبهم عقيدةً إسلاميةً ولكن إذا ما وصلوا وشاهدوا هناك جهلاً وطمعاً و وقاحةً ونقذراً وخلقاً سيئاً وسوء نظام الإدارة وحب الدنيا وانحطاط عامة الساكنين عن المروأة والإنسانية ، فكلما حسبوه وظنوا أصبح هباءً منثوراً ، فطاح ما زعموا ، ورجعوا إلى بلادهم بـدل أن يزدادوا إيماناً وقد أضاعوا ما عندهم .

ويقول صراحةً : إن السدانة والحجبة التى كانت من عهد سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهما السلام وبعده من عهد الجاهلية كانت بقيت وتسلطت ، وجاء سيدنا الرسول ﷺ فقضى

بها فى عهده ولكن تجددت هذه اليوم، فأصبحت السدانة والحجابة والحج كله وسيلةً لتجارتهم وكسبهم، إلى أن قال : فالمطوف ووكيله والسادنون كلهم حتى حكومة الحجاز كلهم لهم حظ من هذه التجارة والكسب، فأصبحت الكعبة وفريضة الحج مثل ما يقوم به الوثنيون فى "هردوار" بالهند من اجتماعاتهم القومية الوثنيه، إلى آخرما قال من هفواته (١).

الانتقاد والمؤاخذة : بيانه هذا واضح لايحتاج إلى نقد وتبصرة يومئ ذلك إلى ما فى قلبه من بغض لتلك البقاع المقدسة وساكنيها ولمن يقوم بشئون إدارة الحرم وازدراء بهم من كل ناحية، فليس هناك أى صفة إسلامية من علم وخلق وحياء فى نظره، هذا حكمه على البلاد بعد ما مضى على الحكومة السعودية نحو عشرين عاماً فى ظل مليك عالم متبع للسنة مقدراً لأهل العلم أىّ تقدير محب للعلماء أسس بنياناً لكل سعادة فى البلاد وإن كان ينقصه الوسائل المادية عند ذاك فلا شك أنه من أنقذ البلاد من فتن وشرور وفساد، فأصبحت بلاداً آمنة مطمئنة بفضل ما قام به من نظام شرعى إسلامى ترفرف عليها رايات الأمن والسلامة والكرامة؛ فالمودودى عنده المطوفون ووكلاؤهم وأرباب الإدارة والحكومة السعودية كلهم جعلوا فريضة الحج وسيلةً لأغراضهم التجارية والمادية، فتجددت تلك الجاهلية مرةً أخرى بعد ما قضى عليها الرسول ﷺ.

---

(١) خطبات (ص - ٣٣٣) طبع ١٥ سنه ١٩٦٢ م.

اعتقاده فى الدجال وتخطئة حضرة الرسالة فى أحاديثه

يقول المــودودى : كان رسول الله ﷺ يظن خروج الدجال فى عهده أو قريباً من عهده ولكن مضت على هذا الظن ألف سنة وثلاثمائـة سنة وخمسون عاماً قرون طويلــة ولم يخرج الدجال فثبت أن ما ظنه ﷺ لم يكن صحيحاً . " رسائل مسائل " (ص - ٥٧) طبعة سنة ١٣٥١هـ ، ثم زاد فى الطبعة الثانية سنة ١٣٥٤هـ: كان ظنه قبل وقته ، ثم زاد فى الطبعة الثالثة ١٣٦٢هـ : قد مضت ألف وثلاثمائة وخمسون سنةً ولم يخرج الدجال ، فهذه هى الحقيقة ، وكتب أيضاً فى (ص - ٥٥) : كل ما روى فى أحاديثه ﷺ فى الـدجال ثبت أن كل ذلك كان رأياً وقياساً منه ﷺ ، وكان فى ريبة من أمره ، فتارةً ظن أنه يخرج من خراسان ، وتارةً أنه يخرج من أصبهان ، ومرةً أنـه يخرج من بين الشام والعراق ، وأخرى ظن أنـه ربما يكون هو ابن الصياد بالمدينة ، وقال مرةً ما رواه عنه فلسطينى راهب مسيحى تميم الدارى (أى فى " صحيح مسلم ") .

الانتقاد والمؤاخذة : قولـــه هذا أما أولاً : فصريح فى الإنكار من خروج الدجال مع أن عقيدة خروج الـدجال ثبتت بأحاديث متواترة بلغت القطع واليقين .

وأما ثانياً : فهو صريح فى تخطئة الرسول عليه صلوات الله وسلامه فى قوله هذا بأن تاريخ القرون الخالية كذب هـذا الظن والجزاف .

وأما ثالثاً : فإن عقيدة خروج مسيح الدجال عقيدة مقطوعة كنزول المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام بل عقيدة مقطوعة توارثت فى كل دين سماوى فيقول سيدنا الرسول عليه صلوات الله وسلامـه فيما أخرجه البخارى فى " صحيحه " من حديث ابن عمر مرفوعاً فى عـدة مواضع وفيه : فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر المسيح الدجال فأطنب فى ذكره وقال : « ما بعث الله من نبى إلا وأنذر أمته ، أنذره نوح والنبيون من بعده ، وإنه يخرج فيكم ، فما خفى عليكم من شأنـه فليس يخفى عليكم أن ربكم ليس بأعور ، وإنـه أعور العين اليمنى ، كأن عينه عنبة طافية إلخ » .

انظر إلى هذا التواتر العجيب المتوارث فى كل دين على لسان كل نبى ؛ فعقيدة مقطوعة على لسان مائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبى ينذر كل نبى قومه ، ثم خاتم النبيين ﷺ يتعوذ من فتنة المسيح طول حياته فى آخر كل صلاة من الأحاديث الفعلية ، ثم يأمر أصحابه بالتعوذ منه فى الأحاديث القولية ، ثم ثبت متواتراً خروجه فى جملة أشراط الساعة ، فهل يتصور فى العقول يقين أشد وأقوى من هـذا ؟ فلاحظ قول المودودى أمام تلك الحقائق الدينية بأنه ﷺ كان مرتاباً فى أمره وكذبه الواقع بأن ظنه غير صحيح .

وأما رابعاً : فخروج المسيح الدجال من جملة ما أخبر به ﷺ من أشراط الساعة ، فكما أن الساعة مقطوع بها أصبحت هـــذه العقيدة لتواترها مقطوعة ، فادعاء أن القرون تطاولت ولم يخرج يشبه أن يقول أحد: إن الإخبار بقرب الساعة فى النصوص كذبها التاريخ حيث مضت قرون ولم تقم الساعة ، فليس هناك أىّ فرق بين هذا وذاك ، « كبرت كلمةً تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً ».

وأما خامساً : فالاختلاف فى محل خروجه ليس الاختلاف فى أمر جوهرى ، والقدر المشترك فى تلك الروايات هو خروج المسيح الدجال سواء فى خراسان أم من أصبهان مع أنهما واحد ثم لـــه جولات فى البلاد ، فظهوره فى شام أوعراق أوبينهما أو فى مكة كل ذلك ليس فيها تعارض وتضارب ، وإنما يرتاب فى مثل هذه الأمور من لابصيرة له فى الحديث وصنيعه .

رأيه فى الحكومه السعوديه

٨ ـ يقول فى كتابه "تجديد وإحياء دين" (ص ـ ٢٠) :

ما لفظه بالأردوية :

روحانى پیشواؤں اور مذهبى عهده داروں کا ایک طبقه مخصوص امتیازات کے ساتھ پیدا ہوتا ہے ، شاهى خاندان اور مذهبى طبقه مل کر ایک ملی بھگت قائم کرتے هیں خاندان پر خاندانوں کے اور طبقوں پر طبقوں کے تفوق کا ایک مستقل نظریه وضع کیا جاتا ہے اه ـ

وترجمته إلى العربية

ربما تنشأ طبقة خاصة من شيوخ وأرباب الدين ورجال المناصب الدينية الممتازة ، وتتفق هذه مع البيت الملكى والعائلة المالكة فى إنشاء دولة وحكومة ، ويكون نتيجة ذلك أن تكون السلطة العليا والحكومة منحصرة فى قبائل خاصة وعشائر طبقة بعد طبقة ، وهكذا تنشأ فكرة مستقلة للتفوق والاقتدار .

الانتقاد والمؤاخذة : كلامه فى المملكة العربية السعودية هذا أمامك مستغنى عن شرحه و بيانه ؛ فهو يصدع بنقد هذا النظام ، وأنه فكرة خاطئة لتخطيط الدول و الحكومات مع أنا نعلم أن أحكم شئ فى نظام الحكومات الإسلامية أن يكون الشيوخ

وأرباب السياسة جنباً بجنب، وتكون السلطة الدينية لأرباب الدين، ويكونوا قدوةً فى أحكام الدين كما يفوض شئون الإدارة ونظام المملكة لأهلها من يكون فيه كفاءة للإدارة ، وقلما يجتمع الأمران إلا فى أشخاص وشخصيات ممتازة بارزة وإذا لم يكن هناك من يجتمع فيه تلك الخصائص بأجمعها فالملائم التوزيع والتقسيم يفوض كل شأن إلى كل من يكون أهله ولايوسد الأمر إلى غير أهله .

ومثل الدولة كمثل مدينة تحتاج إلى أرباب الحرف والصنائع من حدادة ونجارة وخياطة وما إلى ذلك من مقاولات هندسية وتخطيط أبنية وعمارات ، كل شئ يفوض إلى من يكون فيه كفاءة ؛ فهكذا حال الشئون الإدارية والشئون المذهبية فى كل حكومة ، والخلافة الراشدة أروع مثال لجمع الكمالات فى أفذاذ وأشخاص ، ومع هذا فهناك أذواق طبيعية يختلف منحاها ، فرجل يصلح للقيادة فى الجيش ، ورجل يصلح لإقامة الدعوة ، فمن الطبيعى أن يفوض كل عمل إلى من يجيده إدارياً أومذهبياً ، نعم من الضرورى أن يكون هناك تعاون وتساند ولا يكون تحزب وتفرق وتشتت ، ولكن بالأسف الشديد الأستاذ المودودى غلا فى رأيه لإقامة إحياء الدين وتجديده ، فلايرى أمامه إلا عهد أبى بكر وعمر، وينتقد نقداً مراً عهد الخليفة عثمان رضى الله عنهم ، وجاء بطامات فى حق سيدنا عثمان بما تقشعر منه الجلود وتنشق الأكباد ، وظلم على الخليفة المظلوم الشهيد بالانتقاد فى كتابه " خلافت وملوكيت " ما لايستساغ ، وتمثل شخصية المودودى هناك تمثل شيعى ينتقم من الإسلام ومن الخليفة الراشد وإن كان

قدوته فيه سيد قطب فى" العدالة الاجتماعية " حيث انتقد عثمان رضى الله عنه بأنــه كان يعزل أصحاب رسول الله ويولى أعداء رسول الله ، ويقول هو : ويبعد مثل أبى ذر لأنه أنكر كنز الأموال ، ويقول هو فى حقه : يلعب به مروان فصار سيقةً له يسوقه حيث شاء بعد كبر السن وصحبته لرسول الله ﷺ .

ويقول : إن الخلافــة جاءت إليـه متأخرةً فكان العصبة الأموية حوله وهو يدلف إلى الثمانين ، إلى غير ذلك من خرافات وطامات يترقرق فيها أن الرجل جمع بين الشيعية والشيوعية فى وقت واحـد ، انظر" العدالة الاجتماعية " (ص-٢١٣) الطبعة السادسة ؛ فالأستاذ المودودى اقتدى فيه بقدوته ، وشرح كلامه ، وجاء بأدلة من روايات التاريخ من الرطب واليابس ، وسبقه إلى أن قدوته يثنى على الخليفة عمر بن عبد العزيز الأموى وهو ينتقده أيضاً بأنه فشل ولم ينجح ، فإنا لله ، وكتابه هذا قد قام العلماء بالرد والنقد فى تآليف جليلة ، ومن أحسن ما ألف فى الرد عليه هو كتاب الشيخ الفاضل الصديقى مولانا محمد إسحاق السنديلوى حفظـه الله باسم " حقيقة الخلافة والملوكية " وإنى متأسف على أنـــه كيف يغرُّ الناس سمت الرجل من دعايــة فارغـــة ليست وراءها إلا حب الزعامة والسياسة ولا ينظرون إلى كتبه بإمعان ، ولا يفكرون فى عواقبها الوخيمة ، وفق الله الأمة المحمديـة للسداد ، وجنبه عن كل زيغ وضلال وإلحاد .

والحاصل : أن تصور خلافة راشدة مثل خلافة الفاروق فى مثل هذه العصور المظلمة جنون أو هراء ، ثم كل حكومة إذا

لم تكن على ذاك النظام تكون حكومةً عصبيةً أوجاهليةً، قل لى بالله عليك إذا لم يكن مثل سيدنا عثمان ذى النورين مع مناقبه الواردة فى الحديث النبوى الكريم عند المودودى والقطب ليست خلافته على منهاج النبوة ولم يقدر أن تكون خلافته خلافةً على منهاج الخلافة الفاروقية ، وهو يصرح بأن الخليفة عمر بن عبد العزيز قد فشل فى إنشاء نظام صالح ولم يقم بمنصب التجديد ، وكل من جاء بعده ممن قيل : إنه مجدد لم يكمل تجديده ؛ فمنصب المجدد الكامل لايزال هكذا شاغراً فارغاً لم يملأه أحد إلى اليوم إلى أن قال فى "تجديد إحياء دين" (ص ـ ٤٨) : توجه إليه ابن تيمية ولكن لم يستطع أن يقوم بحركة سياسية ينقلب بها نظام الحكومة وأن تخرج مقاليد السلطة من الجاهلية إلى الإسلام .

فكان الأستاذ المودودى جاء بعد قرون متطاولة ملأ هذا الفراغ ؛ فيا للعجب نظام لم يقم الخليفة مثل سيدنا عثمان ولا أحد غيره إلى اليوم من بن عبد العزيز إلى ابن تيمية فكيف يرجى أن تقوم حكومة عادلة راشدة فى هذه العصور المظلمة القائمة ، فينقدان كل حكومة لم تكن على هـذا المعيار ، وهذا سفه بل جنون ، فالحكومة العربية السعودية فى نظرنا أحسن دولة فى البلاد العربية بل الإسلامية حيث ولى نظام الدين أرباب الدين وتستفيد فى الدين من آراء الشيوخ ورجال الدين ، وإذا فاتت هذه الميزة فاتت هذه المزية ، شئ هو من جمال المملكة يراه وصمة عار على المملكة ، فيا للأسف ، « فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى

الصدور ، وفى هذه الاشارة الموجزة مقنع للبصير ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

قوله فى طلقاء الصحابة وما كانوا يستحقون القيادة

٩- يقول الأستاذ المودودى فى "ترجمان القرآن" (ص - ٣٥ و ٣٦) سنة ١٩٦٥ م و٤٩ ما ملخصه : إن عثمان رضى الله عنه استخدم الطلقاء فى مناصب سامية من الحكومة والقيادة ، وهؤلاء الطلقاء دخلوا فى الإسلام بعد فتح مكة ، وهؤلاء وإن كانوا ماهرين فى سياسة غير دينية وأمور انتظامية ولكنهم ما كانوا يستحقون ذلك لأجل عدم كفاءتهم فى قيادة أخلاقية ، يريد أن أنفسهم لم تتزكوا بصحبة الرسول الطويلة ، فكانت فيهم بقية من الجاهلية ، وهو يصرح بذلك فى عدة مواضع من كتابه فى " الخلافة والملوكية " وفى كتبه ورسائله ، وفى مجلته بأساليب شتى حتى فى تفسيره " تفهيم القرآن " رمى بسهمه المهاجرين الأولين والأنصار عند صدور الزلة فى غزوة أحد ، وقد أشرنا إليه من قبل .

الانتقاد والمؤاخذة : يريد الأستاذ المودودى بالطلقاء الذين دخلوا فى الإسلام بعد فتح مكة ، ويعد فيهم معاوية ، والوليد ابن عقبة ، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وسعيد بن العاص ، وعبد الله بن عامر ، ومعاوية بن أبى سفيان كان أسلم عام الحديبية

مخفياً إسلامه من أبيه ، لسنا نريد خوض الغمار فى مناقب هؤلاء وإن رسول الله ﷺ ولى أكثرهم مناصب فى حياته وما قاموا به من فتوحات إسلامية عظيمة وقد حسنوا إسلامهم وأصبحوا من المخلصين؛ دع كل ذلك وإن ما وفقوا للإسلام فى حياته ﷺ ورزقوا نعمة كبيرة من صحبته ﷺ ، وغزوا مع رسول الله ﷺ طائفاً وحنيناً وغيرهما، وولاهم رسول الله ﷺ نفسه مناصب شتى، فهل بعد ذلك يبقى أدنى ريبة فى تزكيتهم وكمالاتهم الدينية والخلقية ، ولكن الأستاذ المودودى ينقم على الخليفة الراشد عثمان رضى الله عنه بأنه ولاهم مناصب كبيرة وما كانوا يستحقونها لأجل الدين والتقوى وإن كانوا يستحقونها لمهارتهم فى قيادة سياسية غير دينية ، فكيف يفرق الأستاذ المودودى بين الدين والسياسة فى عهد الخلافة الراشدة ، وما من شك أن الأستاذ المودودى قد آذى الله ورسوله بهذه الشنائع والتهم ولم يلتفت إلى ما أثنى عليهم الله فى كتابه والرسول فى أحاديثه ، ألم يقل سيدنا الرسول عليه صلوات وسلامه : «الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم من بعدى غرضاً ، من أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم » وما إلى ذلك مما شحن به كتب الحديث ، وفى التنزيل العزيز وحده مقنع وكفاية ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

الاستاذ المودودى وأصوله الاساسية للجماعة الاسلامية

١٠ - دستور الجماعة الإسلامية ما هو عبارة عن الضوابط الأساسية التى عليها مدار نظام الجماعة جاء فيه : " إن كل أحد

غير رسول الله ﷺ ليس معياراً للحق (أى لايعرف بـه الحق ولا يحتج بقوله) ولا هو فوق النقد، وليس لأحد أن يستعبد أحداً ذهنياً وفكرياً حيث إن الناس كلهم سواء فى مرتبة واحـدة وهم كلهم من خلق الله وصنعه ، فكل ينقـد ويحك على هذا المنوال ، ويوضع فى مقامـه ومنزلته طبقاً لعياره ". هذه ترجمة عبارته أدينا الأمانة فيها جهد المستطاع.

وربما يحس بادى الرأى أنه قاعدة لاغبار عليها ، ولكن بعد مـا أمعنا النظر ودققنا البحث وطبقنا عليها بحوثه وأفكاره وما يستنتج منها فى نظرياته وأفكاره وجدناها فى غاية الخطر حيث يمكن أن تتخذ وسيلةً لكل إلحاد فى الدين وابتداع فى الشرع المبين لاينجو منه أحد ، والأمة الإسلامية من أقدم العصور إلى اليوم تعلم أن الرسول ﷺ قد أرشد الأمة إلى التمسك بأبى بكر وعمر والاقتداء بهما ، وأمر باتباع سنته وسنـة الخلفاء الراشدين من بعده ، بل أمر بعضّ النواجـذ على سنتهم ، وحذرنا عن نقدهم والأخذ عليهم ، أوجعلهم أغراضاً للنقد والرد وأهدافاً للملام ، إلى غير ذلك ممـا يعلم من مناقبهم ومفاخرهم والأمر بالاهتداء بهديهم ، وأصحاب رسول الله ﷺ كانوا أبرّ هـذه الأمـة قلوباً وأعمقها علماً ، بل قد توسع دائرة كلامه إلى سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام غير نبينا ﷺ ، مع أنا مأمورون بالإيمان عليهم وإنهم معصومون لايحل لنا النقد عليهم ولا الخطأ عنهم ، وفعلاً قـد صادفنا الأستاذ المودودى تعرض إلى عرض الأنبياء فلم يترك داود ولا سليمان ولا موسى ولا يونس بل انتقد

سيدنا الرسول عليه صلوات الله وسلامه بأنه أخطأ ، وأنه لم يصب ، ويدعى أنه قد كذب رأيه وقياسه تاريخ هذه القرون المتطاولة ، وكل نبى لابد أن يخطأ بل يعصى ويذنب ، إلى غير ذلك من الطامات .

وأما أصحاب رسول الله ﷺ فلم ينج منه مثل سيدنا عثمان الخليفة الراشد ذى النورين، وهتك أعراضهم بحب الدنيا، والطمع، والبخل ، والحرص ، والحسد ، والبغض ، فضلاً عن التابعين لهم بإحسان ، وعن السلف الصالحين فى كل عصر و زمان ؛ فهذه القاعدة فى دستوره خطرة جداً ، وهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ حملة دينه بلغوا هذا الدين طبقة بعد طبقة أمناء على الدين اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، فهؤلاء إذا جرحوا ونقدوا وأصيبوا بالطعون وأصبحوا دريئة للخوض فى أعراضهم وتلوثت الألسنة بسبهم أوشتمهم فقل لى بالله عليك كيف نطمئن بهذا الدين وهم حاملوه إلى الأمة؟ وممن نأخذ هذا الدين؟ ثم أليس فى هذا تكذيب لله تبارك وتعالى؟ فالله سبحانه فى التنزيل يقول : « يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » ويقول : « أولئك هم الصادقون » ويقول : « أولئك هم المفلحون » . ويقول عزوجل : « وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً » ويقول الله عزوجل : « رضى الله عنهم ورضوا عنه » إلى غير ذلك من آيات التنزيل العزيز .

فهل الأستاذ المودودى أعلم بأصحاب رسول الله ﷺ أو الله سبحانه أعلم بأحوالهم وهو الخالق اللطيف الخبير ؟ وهل المودودى

أعلم بأحوال صحابة رسول الله ﷺ أم رسول الله ﷺ أعلم بأحوالهم؟ فإذا لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ معياراً للحق وميزاناً للدين فمن الناس بعدهم ؟

وبالجملة : فكلماته فى هذا الدستور توسع دائرة النقد على الناس قاطبةً وفيهم الأنبياء ومنهم أصحاب سيد المرسلين محمد سيد البشر ﷺ ، وتفسيره للقرآن وتنقيحاته وتفهيماته وسائر تآليفه وكتاباته فى مجلته يتجلى فيها أسلوب الانتقاد والحط من منازلهم ولكن ربما يخفيها كدبيب النمل ، وربما يغلف على هذه السموم عسلاً ودسماً لكى يبتلع بكل سهولة ولا ينتبه لها أحد ، وهذا الدستور مرآة لما فى قلوبهم ولتخطيطهم الحركة ، وأساس لما يبنون عليه من البناء الشامخ الباذخ ، وهذا الدستور وإن غيروا وغيروا وبدلوا وبدلوا بعد المؤاخذات والانتقادات ، ومع هذا فبقى هذا القدر وعرفت حاله .

ومن الواضح البين كصديع الفجر أنه ﷺ بعث بتزكية هذه النفوس ، وبتربيتهم علماً وعملاً ، وتعليمهم قولاً فعلاً ، فأصبحوا منائر للهداية والإرشاد ، ونجوماً فى الأرض فوق نجوم السماء ، وإن الله سبحانه قد أثنى عليه ﷺ بأنه نجح وفاز ، وأقام الحجة وأوضح المحجة ، وأدى الأمانة وبلغ الرسالة ، فهكذا أكمل الله سبحانه هذا الدين ، وأتمّ على الأمة هذه النعمة وإذا كان هؤلاء تحت الانتقاد والمؤاخذات ، وبقيت فيهم للجاهلية بقية ، وما إلى ذلك من طعن ونقص وتقصير كما أسلفنا الإشارة ،

فإذن هو ﷺ قصّر فى أداء فريضة النبوة والعياذ بالله ، ولم يقم حق القيام بأعباء النبوة مع كونه أفضل الأنبياء وأفضل الرسل .

فإذن يلزم أن يقال : إن الله سبحانه قصر فى الانتخاب والاصطفاء ولم يصادف النبوة من يكون فيه كفاءة، فالله تعالى إذن مقصر والرسول ﷺ مقصر فضلاً عن الصحابة، فانظر - وفقك الله - إلى أين تصل هذه الشناعة والقباحة ؟ وفعلاً الشيعة تدعى أن الصحابة كلهم ارتدوا عن الإسلام ما عدا ثلاثة أو خمسة أو سبعة على اختلاف بينهم ، فإذا قيل لهم : إن الله أثنى عليهم فى التنزيل وذكرهم بالترضية والدرجات العلى ، فيجيبون أقبح الإجابة بأن الله لم يبد له ذلك عند ذاك ، ويضطرون إلى القول " بالبداء" مثل اليهود .

ففكر فى هذه العواقب هل يبقى الإسلام بعد هذا الدستور الإسلامى ؟ ثم لاحظ مع هذا الدستور ما قرره بأن الأمة من أقدم العصور إلى اليوم لم تعرف الله ولاالرب ولاالدين ، ويصرح الأستاذ المودودى بأنه يكفى لفهم القرآن اللغة والعقل ، والمفسر للقرآن فى غنى عن هذه التفاسير ، والأحاديث وصلت من رجال إلى رجال ، ومن رواة إلى رواة ، وتلاعبت بهم الآراء والأفكار والنزعات ، ولا يطمئن إليهم ولا إلى جرحهم وتوثيقهم ، ويدعى أن مثل "صحيح البخارى" أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى فيه أحاديث ساقطة ، وينكر وجود السماوات على ما يفهمه المسلمون وينطق بها الأحاديث ، وينكر رفع الطور على رؤوس اليهود ، وينكر الحور وقاصرات الطرف ، ويدعى أن بنات الكفار وبنات

المسلمين الذين لم يستحقوا دخول الجنة فبناتهم تكون حوراً عيناً تخدم أهل الجنة، وإن حديث أنس فى "الصحيح" فى بيان ما أعطى النبى ﷺ من القوة غلط كم وكم، هكذا يرد الاحاديث الصحيحة برأيه وفهمه العليل، وكل ذلك دليل على أنه وضع أساساً فى دستوره وفى كتاباته ليتحمل كل ما لا يتحمل، وليستساغ ما لايستساغ، ومن أجل هذا الدين الإسلامى بزعمه كحركة من الحركات والنهضات كأنه ليس دين سماوى بل قام به ﷺ كما يجتمع رجال لإنشاء جماعة و حركة و نهضة ويتقدمون إلى الأمام بمؤتمرات ومشاورات وموادعات، هذا هوالذى يدعو إليه هذا الأستاذ المودودى فى دستوره وضوابطه وقواعده الأساسية، وعلى ضوئها ما ألفه من كتب ورسائل.

والحاصل: أن دستوره فى غاية الخطر، ونتائجها خطرة جداً باسم الإسلام والدين ينخلع الرجل عن دين الإسلام، ثم إن دين الإسلام ليس مما جاء به الرسول ﷺ، وإن كل دين دين الإسلام، وإن الرسول ﷺ جدده وأحياه، فإذن كل دين إذا انقاد له الرجل يكفى لنجاته يستغنى عن دين محمد ﷺ، وربما يكون للخبير والبصير مقنع فى هذه الإيماضات والإلماعات، وهذه قطيرات من بحر المودودى المتلاطم تياره فى المجلة والتأليفات، ومن أجل ذلك قلت: وقد حان أن نسبر كل ما قاله سبراً بنصفة وديانة حتى تتم الحجة عليهم.

وفى ختام هذه المقدمة نأتى بقرار اتخذه أكابر العلماء وجهابذة الدين فى حق الأستاذ المودودى وجماعته ودستورها فى ٢٧ من

الشوال سنة ١٣٧٠ هـ ١ أغسطس سنة ١٩٥١ م فى دهلى فى مكتب "جمعية العلماء" وقد اتفق أكابر علماء الدين بهذا القرار وفيهم مثل شيخ الإسلام السيد حسين أحمد المدنى رئيس أساتذه دارالعلوم بديوبند ، ومثل المحقق مفتى الهند الأكبر الشيخ محمد كفايـة الله الدهلوى ، ومثل حكيم الإسلام الشيخ القارى محمد طيب الديوبندى مدير دارالعلوم الديوبندية ، وفيهم مولانا الشيخ عبد اللطيف المحدث مدير مظاهر العلوم فى سهار نفور ، وفيهم شيخ الحديث بركة العصر الشيخ محمد زكريا الكاندلوى الصديقى صاحب "أوجز المسالك شرح الموطأ لمالك" ، وفيهم الشيخ أحمد سعيد خطيب الهند سكرتير "جمعية العلماء" ، وفيهم الشيخ سعيد أحمد المفتى فى مظاهر العلوم ، وغيرهم من أصحاب مراكز العلم والفتوى ، وهؤلاء الأكابر أعيان هذه البلاد وأعلامها علماً وفقهاً ، وديناً وتقوىً ، وكان أصبح عليهم مدار الفتوى .

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

وهـــذا نص القرار المترجم إلى العربية : "إن مطالعة تآليف المودودى وحزبه "الجماعـة الإسلامية" تجعل الناس فى حرية من اتباع أئمة الدين وأن لا يبقى لهم صلة بهم ، وهذا مما يهلك العامة ويضلهم ضلالاً ، ووسيلة لانتقاص صلة المسلمين بصحابـــة رسول الله ﷺ والسلف الصالحين ، وإن كثيراً من تحقيقاتـــه وأفكاره الخاطئة إذا اتخذها الناس تكون وسيلةً لفقه

جديد ، وإحداث فى الدين ، وبدعة فى الإسلام باليقين ، وهذا فى غاية الضرر فى الدين ، فنحن نقول بكل صراحة : إن كل حركة تحوى أموراً مثل هذه خطأ ويضر المسلمين ، ونعلن براءتنا عن هذه الجماعة وعن هذه الحركة .

فاتفقوا على هذا القرار فى غاية المسامحة ولم يشددوا الأخذ عليه ، وأعلنوا عنه فى الجرائد لكى تجتنب العامة عن الانحياز إليهم ، اتخذوا هذا القرار قبل ستة وعشرين عاماً فى أول أمره وكان لم يظهر إذن ما ظهر بعد من شدة شكيمته فى الطعن على الصحابة والتابعين ، ولم يظهر من قلمه ما بدا فى هذه الأعوام مما ذكرنا شيئاً منه . ولم يكن صاحب تفسير ولا صاحب " تجديد دين " ولا صاحب " خلافة وملوكية " ما احتوى على طامات ، ولو رأوا ما رأينا وبدا لهم ما بدا لنا لكان حكمهم فى المودودى وجماعته أشدُّ من هذا ، ولكن هؤلاء الجهابذة تفرسوا الخطر ببصائرهم ونصحوا القوم بالاحتراز والتجنب عنه شأن الصالحين الأخيار والمتقين الأبرار ، وهؤلاء كلهم انتقلوا إلى رحمة الله غير واحد أو اثنين .

ثم على هذا القرار توقيعات كثيرة من أكابر علماء الهند وعلماء باكستان لا لزوم لنقلها ، فقد كانت كلمة اتفاق بين الأمة لم يتخلف عنه عالم :

فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

وقبل ذلك بشهور إن مركز الفتاوى فى الهند ورئاسة دار الإفتاء فى دار العلوم فى ديوبند أصدرت الفتوى فى الأستاذ المودودى وجماعته وهاك نص الفتوى مترجماً إلى العربية :

يجب على المسلمين أن يجتنبوا عن " الجماعة الإسلامية " ، وإن المشاركة فيها سم قاتل، وعلى المسلمين أن يكفوا الناس عن المشاركة فيها لكيلا يضلوا ، وضرر الجماعة أكثر من النفع ، فلا يحل شرعاً المساهمة فيها ، وكل من أيدها وأعانها بالنشر والإشاعة يكون آثماً ويكون داعياً للإثم والمعصية بدل أن يكون مثاباً ، ومن كان منهم إماماً فى مسجد فتكره الصلاة وراءه .

كتبه السيد مهدى حسن . رئيس دار الإفتاء بديوبند
الجواب صحيح ، مسعود أحمد . نائب الرئيس للإفتاء
٢٣ جمادى الأخرى سنة ١٣٧٠ ھ

وهذا المفتى الأكبر لدار العلوم فى ديوبند توفى فى هذا العام قبل شهر فى سن كبيرة ٩٦ عاماً ، أكبر محدث فى عصره وأفقه رجل فى البلاد شرح " كتاب الآثار " لمحمد بن الحسن الشيبانى فى عدة أجزاء سماه " قلائد الأزهار" ، وشرح "كتاب الحجة" للإمام الشيبانى ، وقام بالرد على ابن حزم فى " المحلى " بكتاب سماه " السيف المجلى فى الرد على المحلى " ، وله تأليفات أخرى بديعة .

وهـذا ختام الكلام فى هذا الجزء على الأستاذ المودودى وحزبـــه ، الله يهديهم جميعاً ، وسنعود إلى الموضوع بعد فترة إن شاء الله تعالى ، وهذه فاتحة الحديث معه :

إذا كنت فى المدارك غرّا ثم أبصرت حاذقاً لاتمار
وإذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالأبصار

هذا ؛ والله ولى التوفيق والهداية ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

الفهرس